# من ميزات الثنائية

● **أصحاب نظرية الثنائية ، يحلون المشاكل اللغوية ، دونما عناء ولا تعسف :**

من المسلم فى أصول اللغة ، أن هناك مناسبة بين اللفظ والمعنى تظهر للمتأمل الحصيف .

وأن المادة تدور حول معنى واحد ، مثل : حدق ، وأحدق ، والحديقة . بمعنى الاحاطة .

وأن معانى البناء الواحد تتلاقى مهما اختلفت أوضاع حروفه ، مثل : ركب ، وكرب ، وبرك ، وربك ، وبكر ، وكبر .. بمعنى عظم واشتد واجهد .

وأن الألفاظ تتقارب لتقارب المعانى : مثـــل : از ، وهز .. بمعنى التحريك . وقد تنشأ مشاكل من اختلاف دلالة الثلاثى أحيانا ، مثل : ( نهر )، التى وردت فى جميع الساميات عدا الحبشية ، بمعنى : ( الجرى أو السيلان، وبمعنى : الزجر فى العربية ، وبمعنى النور والضياء ) .

فالمعانى كما تبدو متباعدة ، لا يربطها رابط . وهنا تختلف النظرة لحل المشاكل :

فالحل من منطلق أصحاب نظرية « الثلاثية » يدخل فى نطاق الفرض والتخمين والاحتمال .

فقد أشاد بعض العلماء (١) ، بمحاولة الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس (٢) حين لخص العوامل التى تسبب تغير المعنى عند تعدد دلالات اللفظ ، فهى :

قد تكون بسبب الانتقال من الحقيقة الى المجاز .

أو بسبب سوء فهم المعنى ، كما يحدث للاطفال أحيانـــا فى البيئات المنعزلة .

---

(١) فى التطور اللغوى ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٢١ — ١٢٣ بتصرف .

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٩٩ وما بعدها .

أو بسبب استعارة اللغة لكلمة تماثل صورة لكلمة فيها ، مثل استعارة « البرج » بمعنى الحصن من ( اليونانية ) على حين أن مادة ( برج ) تفيد فى العربية : التزين أو صفة خاصة فى العين .

أو بسبب نسيان معنى الكلمة الأصلى القديم ، ثم استعمالها فى معنى جديد بمرور الزمن ، مثل : ( الهجرس ) بمعنى ( القرد ) فى الحجاز ، وبمعنى ( الثعلب ) عند بنى تميم .

أو بسبب تطور الصورة الصوتية فى لفظة ، حتى توافقت مع صورة صوتية أخرى ذات معنى مستقل ، كدلالة ( التغب ) بالتاء ، على معنيين هما : الوسخ والدرن ، والقحط والجوع . ويظهر أن دلالتها الأصلية هى ( الوسخ والدرن ) أما دلالتها على ( الجوع ) فناشئة عن تطور لفظة ( السغب ) فى بعض البيئات التى تقلب السين تاء ، كما يقول بعض أهل اليمن ( النات ) بدلا من ( الناس ) ، ثم جاء جامعو اللغة ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة ( التغب ) وعدوها من المشترك اللفظى » . ويرى الدكتور انيس بأن المعاجم فيها الكثير من ذلك .

أما أصحاب « الثنائية » فهم يرون : أن الثلاثى ( نهر ) ليس أصلا لهذه المعانى على نسق واحد ، بل كل واحد منها آت من مصدر خاص به ، وما الثلاثى الا بمثابة الحوض الذى تصب فيه مياه منبجسة من ثلاثة ينابيع ، فتتلاقى فيه ، فينشأ من ذلك لفظ واحد ذو ثلاثة معان » .

وعلى حسب معرفة موقع الحرف الذى ثلث المادة « الثنائية » ــ تتويجا ، أو اقحاما أو تذليلا ــ نجد المعنى المناسب ، لأن المادة الثلاثية صادرة نسبة الى كل معنى من معانيها عن ثنائى خاص ، بينه وبين الثلاثى المشتق منه صلة معنوية ثابتة » كما يقرر الأب مرمرجى (١) ، مثلا :

الثنائى : ( نه ) ذيل بالراء ، فنجم عنه ( نهر ) بمعنى الزجر ، وقد وردت صورة الثنائى فى المضاعف ( نهنه ) .

( والثنائى : ( هر ) توج بالنون ... فصدر عنه ( نهر ) ، بمعنى الجرى أو السيلان ويشهد له ( هرهر ) لصوت الماء الكثير .

---

(١) المعجمية ص ١٣٥ ــ ١٤١ ، ومعجميات عربية ص ٢٠٠

( والثنائى : ( نر ) أقحم فيه الهاء ، فجاء منه ( نهر ) بفحوى أنار وأضاء . وجاء من الثلاثى الأجوف ( نار ) بمعنى أضاء ، ومنه لفظ ( النار ) للاشتعال ، و ( النور ) وهو الضياء ) .

وأين هذا مما ذكره الدكتور أنيس من احتمالات وتقديرات وتأويلات ؟

وقس على هذا النمط فى الأضداد ( طلع ) بمعنى ظهر وغاب ، من الثنائى ( طل ) وذيل بالعين ، فصدر عنه طلع بمعنى ظهر . والثنائى ( طع ) اقحم فيه اللام ، فنجم عنه طلع ، بمدلول اطمأن ونزل ، وهو منحوت من ( طل ) و ( طع ) على طريقة ( جورجى زيدان ) ، وان كان لا يرتضى هذه الطريقة الأب مرمرجى .

قس على ذلك أيضـــــا ( أمر ) من ( أم ) و ( حمـــر وخمـــر ) من ( حم وخم ) ... (١) .

وتلك طريقة فيها من السهولة ما حل المشـــكل ، وأرضى البـــاحث ، وأوصله الى راحة فى خط يتسم بالدقة والطرافة ، وتعززه الشواهد .

● معتل الأفعال فى العربية والساميات عموما ثنائى لا ثلاثى ، وبخاصة فى حالته الأولى :

فقد امتد خلاف العلماء فى ثنائية الأفعـــال المعتلة ، من العربية الى أخواتها فى السامية على نحو ما يروى عن ( الأب هنرى فليش ) فى دراسته للنحو السامى : فالبعض يفترض ثنائيتها منذ بدايتها ، وآخرون يقرون أنها نشأت ثلاثية .

ويقول المستشرق ( ف . ر . بلاك ان الموقف الأول ـــ ونحن معـــه فى ذلك ـــ طبيعى ، لأن المصوت الطويل فى الأفعال التى يكون الصـــامت الثانى من أصلها واوا أو ياء ، انما يأتى من اطالة المصوت القصير الداخلى فى الثنائى ( قل Qala ) فتصير ( قال Qaala وكذلك قل Qila ) تصير ( قيل Qiila و ( يقل Yalqolo ) تصير ( يقول Yalqoolo ) . وبهذا دخلت فى نظام الفعل الثلاثى .

بينما يؤيد الأب ( هنرى فليش ) أنها كانت منذ البدائية ثلاثية ، اذ

---

(١) المصدر الســـابق .

يلاحظ هذا الوضع الثلاثى لها فى الجغرية والتجرية من اللغات الحبشية ، ولأن المصوتات الطويلة انما هى نتيجة القلب أو الحذف » (١) .

ولكن اذا علمنا :

أن ( الأب فليش ) يقرر أن فى العربية وفى أخواتها الساميات أصولا ثنائية .

وأن المستشرق ( رينان الفرنسى ) يقول — كما ذكرنا من قبل — بثنائية المعتل من الأفعال ، لأن اضافة حرف العلة ليس له تأثير يذكر فى تغيير المعنى الأساسى الذى يفيده الأصل الثنائى ، بل ويمتد عدم التأثير السابق الى الفعل الصحيح غالبا ، لأن أحد حروفه أضعف من الآخرين .

واذا تذكرنا أن الشيخ العلايلى قال : ان المعتل من بقايا العهود السحيقة ، وانها أثرية وجدت قبل انتظام الوضع اللغوى ، وأن اعتبار المعتل ثنائى هو اتجاه سليم من الناحية الصوتية ، كما جاء فى ( التطور اللغوى ) .

اذا اعتبرنا ما سبق أمكننا أن نقرر وجهة نظر القائلين بأن معتل الأفعال — ولا سيما معتل العين — وضع ثنائى ، فى واقعه واستعماله ، وفى حالته الأولى .. فالمعتل ثنائى الحق بالثلاثيات وهو ثنائى لفظا ، وان بدا ثلاثيا خطا فى العربية .

أما حين تشير بعض تصاريف الكلمة الى الثلاثية ، فنبادر بالقول : بأن ذلك طريق من طرق اكتناز البنية « الثنائية » — كما أسلفنا — فى العربية .

* * *

والمضعف أصله ثنائى ، ولم يبد ثلاثيا الا فى الصورة ، ولم تكن ثنائية خداع :

فتضعيف الحرف — كما قلنا — طريق من طرق الاكتناز ، وصورة المضعف كان فى الأصل ثنائى المقطع ، نظرا الى الصورة الملفوظ بها ، دون التفات الى الحرف المكرر بمثابة حرفين :

يقول ابن دريد : « والثنائى الصحيح لا يكون حرفين البتة الا والثانى

---

(١) العربية الفصحى ص ٢٥٠

ثقيل ( أى مضعف ) حتى يصير على ثلاثة أحرف : اللفظ ثنائى ، والمعنى ثلاثى ... » (١) .

ويعلق الدكتور ابراهيم نجا ، على ذلك بقوله :

« واعتبار المضعف الثلاثى من باب الثنائى ليس غريبا عن علماء اللغة قديما وحديثا ، خاصة وأنهم ينظرون الى اللغات السامية بمنظار واحد — كما فعل الأب مرمرجى — فقد عقد موازنات بين المضعف الثلاثى فى العربية، وبين ما يقابله فى السريانية ، فتبين أنه لا يقابله فى السريانية الا حرفان ، مثل ( مص ) بتشديد الصاد ، فيقابلها فى السريانية ( مص ) باسكان الصاد ... » (٢) .

ولكن الدكتور رمضان عبد التواب ، يرى أن الأب مرمرجى ، قد « خدعه ما آل اليه المضعف الثلاثى فى بعض اللغات السامية ، بعد أن سكنت أواخر كلماتها ، لسقوط الحركات الاعرابية وغيرها ، فضاع التضعيف منها وصارت على حرفين ، فظن هذا هو الأصل فيها ... ونسى الأب مرمرجى : أنه عند اسناد المضاعف الى الضمائر فى العبرية والسريانية ، يظهر التضعيف » (٣) .

وأقول : ان الأمر ليس فيه خداع : فالثنائية باقية للمادة وان ضعفت ، كما أن المضعف لا يفقد ثنائيته اذا ارتد الى معتل العين ، مثل : ( كاع ، ذام ، زير ، مير ) من ( كع ، ذم ، زر ، مر ) . (٤) .

فالتضعيف حقق للكلمة العربية الانتقال من الثنائية الى الثلاثية فى أواخر الدور الثانى فى رأى الشيخ العلايلى .

يضاف الى ذلك أن الثلاثى حين تفرع عن ثنائى سابق ، انما كان ذلك فى النشوء اللغوى قبل أن يكون فى الاشتقاق فقط . فاذا احتفظت وحفلت قواميسنا العربية — وفى مقدمتها معجم مقاييس اللغة لابن فارس — بالتضعيف ، وبدا الثنائى فى صورة الثلاثى ، فان مرد ذلك الى الانتقال من مرحلة الى أخرى .

***

(١) معجم الجمهرة ، لابن دريد ١٣/١
(٢) فقه اللغة العربية ، د . نجا ، ص ٨٤ ، ٨٥
(٣) فصول فى فقه اللغة ص ٢٦٦
(٤) مقدمة العلايلى ص ١٣٢